

حَرَكَة

قصة بقلم مصطفى الأسمر

أهو ، هو بعينه أهو) وكان ابنائي يكون وهم يجدون انفسهم عاجزين عن صنع شيء ما الا النظر الي في حلق كأنهم يستنكرون مني انني انجبتهم مع معرفتي بأنني غسال موتي . . . اما أنا فقد كان ومسا يزال لي مع الاطفال شأن آخر ، دائما يهربون من وجهي ويختفون عند رؤيتي ، ويجرون في فزع ورعب مبتعدين عني كأنني عفريت . . . افسم ان كل شيء في حرفتي اصبح مألوفاً لي بل مقبولاً فمسا عاد يضايقتني الا تمسك الاطفال بالخوف مني ، لو احبني الصغار ، لو لم يهربوا من وجهي . . . لكنك قد احببت مهنتي منذ زمن بعيد جدا . . .

وصلت اخيراً الى منزل الميت ، اخلوا لي حجرة وابتدأت امارس عملي فيها بمفردي ، كان عميلي ممتلئ الجسد بطريقة غير عادية ازعجتني بعض الشيء . . . كانت ارجل الشحم موزعة على اعضاء جسده بالتساوي الا تديبه فقد تضخما بشكل ملحوظ ، كانا اضخم بكثير من تدي زوجتي ، من غير قصد وجدتني اعقد مقارنة بين جسده الضخم المترهل والجسد النحيل الجاف لابنسي الصغير ، امس فقط اخرجته من المستشفى لطلب امه ليقتضي معنا العيد ، لم اعارض او احتج على طلبها هذا ، فصحته لم تتقدم منذ ان دخل المستشفى بعد جهد كبير من جانبي ، كل يوم يمر كان جسده يذبل ويهزل عن سابقه بصورة واضحة ، رتبت اموري على انه سيموت في يوم ما . . امه لم تستطع ان تصدق ابدا ان يحدث امر كهذا له . . حاولت ان اقنعها بان الموت ارحم له الف مرة من عذاب المرض ولكنني فشلت . . ثارت في وجهي واتهمتني بان لا قلب لي ، اصبحت بدورها مجنونة ومفلسة كالاخرين . . كنت واقفا انها ستنظر الى الامر ببساطة وسهولة وقد عاشرتني وعاشت مع مهنتي تلك السنين العديدة ولكنها خيبت ظني ، ضايقتني هذا كثيراً ، ولكنني حاولت ان افكر في الامر بطريقة جديدة فطرحت كل شيء خلف ظهري ولم اهتم . . . وانا ادلف الى حجرة الميت سمعت همسا يدور بين اثنتين من المعزين عن وجبة افطاسه - الميت - ذهلت حينها فقد كان ما ياكله في تلك الوجبة اكثر بكثير مما نأكله انسا وزوجتي وابنائي .

ظل الامر يفلقني حتى ابتدأت ازاول عملي فعندما شعرت بالارتياح وانا اقلب جسده الضخم بين يدي واتحكم فيه بارادي . . لاول مرة - منذ عملت غسال موتي - شعرت برغبة جامحة لا طاقة لي بمقاومتها في ان اصفعه على خده الايمن - ولماذا الايمن بالذات لا ادري - كان خده لا يزال متورداً لم يفقده الموت بعد حيويته ، اؤمن ان للموت حرمة ولكن رغبتني تلك كانت تؤرفني ، كانت اقوى من ايماني هذا . . . سمعت من كثيرين انه طالما صفع العاملين عنده على اقيقتهم . . . رفعت كفي المرفوقة الى اعلى ثم هويت بها على خده المكتنز الشحيم ، غاصت اصابعي الخمسة في اللحم البارد وتركت فيه اثارا واضحة . . انقلب شعوري بالارتياح الى ما يشبه القرف ، فقد غاظني انه لم يبال . اعرف انه ميت ، ولكن لا ادري لم ضايقتني بروده وعدم مبالاته بالامر . . . انتابنتني حالة هياج شديد فارتفعت يدي للمرة الثانية وهويت بكفسي - على خده - في صفة جديدة اشد . . . كررت محاولتي عدة مرات بينما الضيق والقرف يملآن كل ذرة في جسدي . . انتهيت من عملي بطريقة مرتجلة على غير عادتي ، وما زال صدري يفور بالحرق والقرف . . ازداد قرفي عندما اسقط ابن الميت - في كفي - اجري وهو يتحاشى

كان اليوم عيداً . . وكالعادة استيقظت مبكراً فحرفتي لا تعترف بالاعياء . . دائما استيقظ مع اذان الفجر وابدأ في مزاوله عملي . . . حتى وانا في شهر العسل كنت اتركه عروسي والحناء ما زالت تخضب يديها واذهب كي اغسل ميتا واكفنه . فالوت كما يقول الناس هو الشيء الذي يجب التخلص منه بسرعة ولا يطبق انسان ان يبقى معه طويلاً . . قبل ان اوفق لزوجة تعبت كثيراً وانتظرت طويلاً حتى وافق اب وزوجتي ابنته . . في البداية كانت زوجتي بكرهني وتكره عملي وتتفرز منه وتضيق بي ، ولكن بمرور الزمن الفتنا ، صار كلانا عندها شيئاً عادياً . . فلم تعد تفزع من جسدي وهو يلاصق جسدها ، او تتفرز من يدي وهي تشاركها الطعام . . استسلمت اخيراً ، ربما عن كره او ربما نزولاً على الامر الواقع ، المهم انها استسلمت في النهاية . . بدوري كنت اضيق بعملتي ولكن بمرور الوقت الفتة انا ايضا . . ومع انني لم احبه تماماً الا انني كنت امارسه بمزاج واتفن فيه . . اخيراً وفي النهاية لم اعد افكر جدياً في هجر عملي واحتراف عمل آخر بعد ان لازمني هذا العمر الطويل . . اكبر ابنائسي استدعوه للخدمة في الجيش - منذ ايام - وانا ازاول عملي قبل ان يولد هو بخمس سنين كاملة . . عندما انجبت - وكنت حينها في قمة ضيقي بعملتي - قررت ان الحفة عندما يكبر بعمل آخر . . حتى لو لم افكر في هذا لما قبل هو - ابدا - ان يعمل « غسال موتي » كما عملت ان من قبل مع ابي . . لو كان الامر بيدي انا لاحترفت مهنة اخرى ، ولكن لم يكن لي حيلة فقد ورثت مهنتي عن ابي ضمن ماسا ورثته عنه ، ثم انني لا اجيد حرفه غيرها ، فضلا عن هذا فهي تتكفل تماماً بمطالب معيشتي وتدر علي دخلاً لا بأس به . . بل ربما فاق دخل بعض الحرف الاخرى المشابهة . . مع الايام لم تعد تضايقتني نظرات الناس لي واحترامهم لحرفتي . . اعتقد انهم مفلون لا يفهمون شيئاً . . فحرفتي لم تكن حقيرة في يوم من الايام . . ربما الموت نفسه هو الشيء الحقيق . . في الماضي - ايام الفراغة - كانت حرفتي مقدسة لا يمارسها الا الكهنة ورجال الدين ، كانت سرا من الاسرار . . مثلاً هي عندي افضل بكثير من حرفة الحرب . . ثم ، انا لست مسؤولاً عن الموت نفسه ، اقصده انه لا دخل لي البتة في وقوعه ومسيباته ، ولكن الناس مع معرفتها بهذا لا تريد ان تغير من نظرتها الشاذة لي . . لو لم تكن مهنتي ما برح ميت بيته ابداً ولانقلب بكاء الناس على فراق موتاهم بكاء وضيافاً بوجودهم . . وجودي انسا يساعدهم على التخلص منهم بالسرعة التي يرحونها ليتفرغوا لحياتهم مسن جديد . . شيء لا يعرفه ولا يفهمه الا محترفو مهنتي ، وهي ان الانسان الميت - في بعض الحالات - يكون افضل بكثير من بعض الاحياء . . احسب لو عرف الناس ان كل شيء يظل في موضعه تماماً كما كان قبل الموت ، العينان هما العينان ، الانف هو الانف ، والذراعان هما الذراعان ، لتغيرت نظرتهم كلية البنا نحن محترفي مهنة « التكفين » . . لكل الناس اقارب موتي ، بل لن يعيش انسان الى ما لا نهاية . .

فلماذا اذن يحترقون مهنتي ويبتمدون عنا ؟

في الماضي وابنائي صغار كان الاطفال ينبدونهم ويقذفونهم بالحجارة ولا يسمحون لهم باللعب معهم ، كانوا يزفونهم كلما رأوهم بنشيد جماعي محفوظ ومتوارث - وبصوت منغوم - « ابن الفسال

سلسلة اجواز العالمية

صدر منها:

١ - المثقون

رائعة الكاتبة الوجودية الكبيرة

سيمون دو بوفوار

الحائزة على جائزة غونكور الفرنسية

ترجمة جورج طرابيشي

في جزوين - ثمن الجزء ٧ ليرات لبنانية

٢ - السام

اخر رواية للكاتب الايطالي الشهير

البرتو مورافيا

وهي الحائزة على جائزة فياريجيو الكبرى

الثمن خمس ليرات لبنانية او ما يعادلها

٣ - ابك يا بلدي الحبيب

تصوير رائع للماساة العراقية في افريقيا الجنوبية

تأليف الان بيتون

ترجمة خليل الخوري

الثمن ٥٠ فرشا لبنانيا

منشورات دار الاداب - بيروت

ويحاذر جاهدا كي لا تلمس اصابعه يدي ... شيء غريب بالطبع وحقير
ايضا ان يتحاشى يدي تلك اليد التي لم تفعل اكثر من انهسا لامست
جسد ابيه الضخم الذي كان يضمه الى صدره منذ ايام قليلة ...
حقير وجاهل كالاخرين ...

اتجهت الى منزلي بعد ان مررت على السوق واشترت لحمًا بنقود
الميت السمين ، فاليوم اول ايام العيد ... اخذ ضيقي يتلاشى وانسا
احلم بأكلة دسمة شهية ، فقد كنت جائعا لم اذق طعاما من ليلة امس ..
وصلت البيت فادهشني صراخ مرتفع صادر منه ، استطعت ان
اميز صوت امرأتي من بين الاصوات ، كانت تشارك الاخرى بصراخها ..
صممت ان ازجرها على فعلتها تلك فور رؤيتي لها ، وقبل ان ادخل
البيت قابلني اوسط ابنائي وهو يبكي .

استفسرته السبب قال : اخي مات ...

سألته سؤالا لا معنى له : اي اخوتك ؟

اجابني وهو ما يزال يبكي : محمد ...

مع علمي من يكون سألته : - الصغير - ؟

نظر الي في دهشة وهو ما يزال يبكي : نعم محمد ...

ضايقتني بكأؤه فصفعته على خده النحيل الايسر بقسوة ، نظر
لي في فرغ ثم انطلق بجري تامي وهو يقفز درجات السلم . وتابعته
اريد اللحاق به وقد انفرست اصابعي دون ان اشعر في قطعة اللحم
التي احملها ، وضاع عندي كل امل في اكلة شهية ... ودخلت الحجرة
ولفوري اصطدمت بوجهه الجامد ، انتفض جسدي كله وتفززت من
نفسي وانا اذكر ان علي ان اغسله بنفسي .. شعرت ان زوجتي كانت
على حق وان الامر ليس بالسهولة والبساطة التي تصورتها من قبل .
وتدفق في داخلي احساس قوي ان هناك فرقا ما ولكن ما هو ؟. تأملت
صغيري من جديد فرأيت ان كل شيء في موضعه تماما لم يتغير ، ومع
هذا ازداد احساسني بان هناك فرقا ما . قررت فيما بيني ان اعرف هذا
الفرق في يوم ما مهما كلفني الامر . انحنيت على الصغير فحركته برفق
اولا ثم بشدة ولكنه لم يتحرك ، تضايقت وشعرت بغشيان لسم اعدهه
فسي نفسي من قبل ...

مصطفى الاسمر

دمياط (ج .ع .م)

جماعة الرواد

- تنمة لبنان الجديد -

لبنان الجديد للتحرر والاستقلال ونصرة العروبة .
ولا شك في ان مهمات جديدة تنتظر لبنان في عهد
الرئيس الحلو ، على رأسها انتهاج سياسة العدالة
الاجتماعية في شكل من اشكال الاشتراكية ، بمحاربة
الاقطاع والرأسمالية المحتركة ورفع مستوى العامل
والفلاح . وان جميع المواطنين اللبنانيين يحسون اليوم
حاجة ملحة لمعالجة اوضاعهم الاجتماعية بازالة الامتيازات
الضخمة التي تنعم بها طبقة الرأسماليين ، والعمل على
منح طبقة العمال والفلاحين جميع حقوقها المهضومة .
ان لبنان لن يستطيع ان يعيش طويلا على سياسة
الخدمات العامة والسياحة والاصطياف ، بل لا بد له من
انتهاج سياسة اشتراكية جذرية هي التي تنتهجها اليوم
جميع الدول العربية المتحررة . ونأمل من عهد الرئيس
الحلو ان يرسي نهائيا قواعد هذه السياسة في لبنان
الجديد .